



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت/ كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

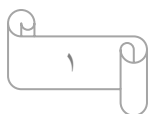
دكتوراه علم النفس التربوي

فلسفة القياس

إعداد

أ.د. صباح مرشود منوخ

2025-2026



فلسفة القياس في المجتمعات

إن القياس في مجال العلوم الإنسانية يختلف وبالذات في مجال علم النفس، ذلك أن المجتمعات تختلف في تركيبها الحضارية والثقافية وبما أن الإنسان في الغالب يشكل تأثيراً من الحضارة والثقافة التي ينشأ بها، فلا غرابة أن تختلف المقاييس من مجتمع الآخر تبعاً لإختلاف الحضارة والثقافة.

كما أن مما يمكن أن يكون له أثر في الموقف من المقاييس والقياس كعملية شاملة هي الفلسفة السائدة في المجتمع. والمقصود بالفلسفة السائدة المنظومة المعرفية والحضارية والثقافية في المجتمع والتي تحكم في المجتمع وتسيره وتشكل نظامه السياسي والاجتماعي. لقد هيمنت على معظم دول العالم خلال معظم القرن العشرين فلسفتان كبيرتان إحداهما فلسفة رأسمالية وبسط نفوذها على دول أوربا الغربية وأمريكا ومن يسير في فلك هذا المعسكر من دول العالم الأخرى، أما الفلسفة الأخرى فكانت الفلسفة الاشتراكية وشمل نفوذها دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتي سابقاً مع دول أخرى تسير في ظلها وما يهمنها الإشارة إلى ذلك في هذا الصدد هو أن نوع الفلسفة السائدة في المجتمع، قد يكون لها أثر في الموقف من الإختبارات، وكذلك في الأغراض التي من الممكن أن تخدم أو تسعى لتحقيقها بإستخدام الإختبارات. إذا علمنا أن الفلسفة الرأسمالية تقوم على التنافس، بل والتنافس الحاد بين الأفراد والطبقات، فماذا يمكن أن نتصور حول وظيفة الإختبار في مجتمعات الرأسمالية. إن النظر إلى واقع الإختبارات والمقاييس في مجتمعات الرأسمالية لإعطاء الدليل القاطع على أن إختبارات والمقاييس يسهم في خدمة الرأسمالية وذلك من خلال إذكاء روح التنافس، السياسة مكان واسع للاختبارات والمقاييس ولا أدل على ذلك من الإستفتاءات التي تجرى أثناء الحملات الإنتخابية من أجل سبر إتجاهات الناس المرشحين، وما يقال عن السياسة يقال عن التجارة وذلك من أجل إستقصاء وجهات نظر النظر البضائع

المختلفة، وكذلك الحال في مجال التوظيف، فالمقاييس تلعب دوراً بارزاً حيث من أجل الكشف عن ميول الأفراد وقدراتهم وإتجاهاتهم ومهاراتهم العملية.

يمكن تحديد أربعة مجالات رئيسية تكون هدفاً لمعرفة الفروق فيما بينها في سمة أو مجموعة سمات أو قدرة أو مجموعة قدرات ، وهذه المجالات الأربعة كما ورد في أدبيات القياس هي :

١. **الفروق بين الأفراد:** وذلك من أجل مقارنة الأفراد بعضهم ببعض كأن نقارن الطلاب فيما بينهم أو نقارن الموظفين أو نقارن أفراد مجموعة عمرية أو مجموعة جنس كأن نقارن مجموعة أولاد في مستوى الذكاء أو في مركز التحكم وهكذا

٢. **الفروق داخل الأفراد:** وذلك من أجل معرفة نقاط القوة والضعف عند فرد بعينه ودون حاجة المقارنته بغيره من الأفراد الآخرين ومثل هذا النوع من القياس يكون التركيز فيه على الفرد لوحده مما ينتج عنه بروفيل شخصي نتمكن من خلاله من عمل مقارنة داخلية للفرد . فعلى سبيل المثال يمكن تطبيق إختبار الشخصية ل - بيرنرويتز - على أحد المفحوصين ويتطبيق هذا الإختبار نعرف أي الأبعاد الستة المكونة لهذا الإختبار توجد بشكل قوي أو بشكل ضعيف عنده فمن الممكن أن نجد المفحوص مرتفعاً على بعد العصابية بينما يكون ضعيفاً على بعد المشاركة الإجتماعية وهكذا في بقية الأبعاد بحيث ننتهي بروفيل شخصي لهذا المفحوص

٣. **معرفة الفروق بين المهن:** كما هو معلوم فإن المهن والوظائف لها متطلبات مختلفة فيما بينها من حيث نوع ومستوى القدرات والإستعدادات والمهارات ، بل وخصائص الشخصية ، وقياس الفروق بين المهن في متطلباتها يمكننا من تحقيق متطلبات كل مهنة والتأكد من وجودها عند الأفراد المتقدمين لهذه المهن في مراحل لاحقة .

٤. **الفروق بين الجماعات:** من المسلم به أن الجماعات المختلفة يوجد فروق فيما بينها في قدراتها ، وسماتها ، وخصائصها فالذكور يختلفون عن الإناث في بعض الخصائص والإداريون يختلفون عن أرباب المهن الحرفية والصغار يختلفون عن كبار السن ومعرفتنا القائمة على القياس للفروق الموجودة بين الجماعات تجعلنا أكثر وعياً وإماماً في خصائص النمو والوقوف على الأسباب الكامنة وراء مثل هذه الفروق مما يسهم في تعديل خطط التربية والتعليم والبرامج التدريبية حسب ظروف كل جماعة ومستواها في الخاصية أو الخصائص المقاسة

وبناء على ما تقدم وطبقاً لما أوردته أدبيات القياس يمكن تحديد بعض الأهداف المباشرة من عملية القياس وهي كما أوردتها (Gre Gory ١٩٩٢) كالتالي :

١- التصنيف

يرى (Gre Gory ١٩٩٢) أن التصنيف يعني ويقصد به تحديد الفرد في وضع دون آخر سواء من أجل التخصص في علم من العلوم الطلاب الجامعة أو للتدريب في برنامج دون آخر أو للعمل في وظيفة خلاف وظيفة أخرى . ويرى (١٩٧٠) (Cronbach) أن التصنيف هو تحديد أحد الإختيارات الأكثر مناسبة للفرد ويضيف إن الفرد يمكن تصنيفه للقيام بوظيفة مراقبة إلكترونية في عمل عسكري أو بوظيفة

منظف سلاح أو بوظيفة أمين أسلحة. أما في مجال الصناعة فيمكن أن يصنف الأفراد حسب برامج التدريب الأكثر مناسبة لهم ومن الأمثلة على إختبارات التصنيف بطارية التصنيف التي طورها سلاح الجو الأمريكي من أجل توزيع الأفراد وفق برامج التدريب الأكثر مناسبة لهم. ويندرج تحت عملية التصنيف أنواع منها :

أ- وضع الفرد في المكان المناسب:

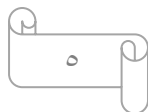
ويقتضي تصنيف الأفراد في أماكن وبرامج وتخصصات مناسبة لإحتياجاتهم ومهاراتهم كما يحدث في الجامعات عندما تعطى إختبارات تحديد المستوى ليتحدد على ضوءه نوع المواد الدراسية التي قد يحتاج لدراستها قبل الإنخراط في التخصص النهائي. في التعليم العام من الممكن استخدام الإختبارات والمقاييس لتحديد أي مجموعات القراءة الأكثر مناسبة لفرد من الأفراد كي يبدأ برنامج القراءة

ب- الغربة:

ويعنى به عمليات القياس البسيطة من أجل تحديد الأفراد الذين تتوافر لديهم بعض الخصائص أو الحاجات ومثل هذه الأساليب في الغالب تكون بصورة مستعجلة وقد يترتب عليها بعض الأخطاء، مما يستدعي الحاجة لإعادة الفحص والإستقصاء. وعملية الغربة الأولية عادة ما تكون في بداية عملية التصنيف .

ت- التأهيل:

والمقصود بالتأهيل استخدام القياس من أجل تحديد فيما إذا كان الفرد تتوافر فيه الأهلية والشروط المطلوبة للقيام بمهمة أو إنجاز عمل من الأعمال وذلك بإجتيازه إختبار الإجازة مثل إختبار قيادة السيارة فإما أن يكون الفرد مناسباً أو غير مناسب ومثل الإجازة له للقيام بعمل العلاج النفسي فإما أن يصنف على أنه مناسب أو يصنف على أنه غير مناسب ومثل هذا النوع من القياس في العادة يحدد له مستوى يتم بموجبه الحكم على الفرد ومن ثم تصنيفه إما في فئة المؤهلين أو غير المؤهلين . وعملية التأهيل هذه



تقتضي توفر الحد الأدنى على أقل تقدير لدى الفرد في المجال أو التخصص الذي ستمنح الشهادة له فيه .

ث- الاختيار:

المقاييس التي تستخدم من أجل الاختيار يفترض أن يترتب عليها وعلى نتائجها قرار بقبول أو رفض الفرد في جامعة أو كلية ، أو قبوله في الوظيفة التي تقدم لها أو رفضه أو ترشيحه وإختياره للبرنامج التدريبي أو رفضه . ويمكن القول إن قرارات الاختيار تكون صادقة وسليمة عندما يكون هناك توافق بين نتيجة الإختبار التي أتخذ على ضوءها القرار والمهارات والقدرات والإتجاهات التي تبرز على أرض الواقع في سلوك وتصرفات الفرد عندما يعطى الفرصة للإلتحاق في الوظيفة أو البرنامج ، وبمعنى آخر فإن قرارات الاختيار هي قرارات تنبؤية تنتبأ من خلالها بما سيكون عليه الفرد في المستقبل، ومن الأمثلة على الإختبارات المستخدمة في عمليات الاختيار والتي يتنبأ بها بنجاح وفشل الأفراد إختبار طلاب الدراسات العليا المسمى (GRE) Graduate Record Examination والذي يستخدم من قبل بعض الجامعات الغربية لإختيار طلاب الدراسات العليا من بين المتقدمين لتلك الجامعات . كما أن من الإختبارات المستخدمة من أجل الإختيار إختبار اللغة الإنجليزية المنطوقة (TSE) وقد أجرى كل من (بورس و ستانس) دراسة على صدق هذا الإختبار من أجل إختيار بعض المتقدمين لشغل بعض المهن والتي منها التمريض، والصيدلة ، والطب. وتبين أنه ذو فعالية تنبؤية في إختيار الأفراد في هذه المهن .

٢ - التشخيص:

المقاييس من الممكن أن تؤدي مهمة تشخيصية وذلك بإبراز جوانب القوة وجوانب الضعف لدى المفحوص وذلك من أجل توظيف هذه المعلومة في علاج الفرد المريض أو من أجل تعديل سلوكه أو من أجل إكسابه مهارات جديدة في مجال من المجالات .

وفي الغالب تكون الإختبارات التشخيصية كثيرة البنود من أجل ضمان قياسها لأهداف محددة ، على أن تكون هذه الأهداف التي تقيسها هذه البنود المتضمنة في الإختبار محددة سلفاً وبشكل واضح جداً ولا لبس فيه

ويرى (١٩٩٢) Gregory أن الإختبارات التشخيصية لها مهمتان المهمة الأولى تتمثل في تحديد طبيعة وسبب السلوك غير الطبيعي أو الشاذ، أما المهمة الثانية فهي تصنيف السلوك الخاضع للتشخيص ضمن نظام تشخيص مناسب ومقبول . ووفق هذا التصور حول الإختبارات التشخيصية يمكن إعتبارها بأنها أساس تبنى عليه عملية العلاج لما هو شاذ أو منحرف في الشخصية أو يمكن إستخدامها لتحسين الأداء. ولو أخذنا إختبارات الذكاء على سبيل المثال لأدركنا المهمة التشخيصية التي تؤدي إلى إكتشاف حالات التخلف العقلي . أما إختبارات التشخيص في مجال القراءة فيمكن أن تكشف مواطن الضعف والخلل في قراءة الفرد هل هي في النطق أم في صياغة الجمل أم حذف الكلمات والحروف أم في إستبدال الحروف مكان بعضها البعض. ومن الأمثلة على إختبارات التشخيص في مجال القراءة اختبار ستانفورد لتشخيص القراءة والذي يضم صورتين وأربعة مستويات موزعة حسب المستويات الدراسية ويتم في هذا الإختبار قياس مجموعة من العوامل منها الفهم ، التحليل الصوتي ، المفردات وغيرها من العوامل الداخلة في عملية القراءة . أما الإختبارات التشخيصية في مجال الشخصية فتسهم في معرفة نوع ومستوى الإضطراب الإنفعالي الذي يعاني منه الفرد . فعلى سبيل المثال إختبار الشخصية لـ برنرويتز من الممكن أن يقدم خدمة تشخيصية ، إذ يمكن من تطبيقه على أحد الأفراد معرفة ما إذا كان إنطوائياً أو إنبساطياً ، أو إذا كان لديه تقبل للمرض النفسي ، أو إذا كان يتمتع بشيء من الثقة بنفسه ، كما يمكن معرفة إن كان مسيطراً أو خاضعاً أو مكتفي ذاتياً أو لديه خاصية المشاركة الإجتماعية وكما يتضح من هذا الإختبار يمكن معرفة نقاط القوة ونقاط الضعف لديه . وبناء على

ذلك يمكن التأكيد على أن استخدام الإختبارات لغرض التشخيص ليس هدفاً بحد ذاته ، بل لابد من أن يقود لإجراءات تعتمد على النتائج المستمدة من تطبيق الإختبار ، فقرار العلاج أو تعديل السلوك ، وكذا برامج التقوية للطلاب يفترض أنها تعتمد على ما نتوصل إليه من نتائج بإستخدام هذا النوع من الإختبارات

ووفق هذا السياق حول الإختبارات التشخيصية لابد من التأكيد على أن تطوير إختبار تشخيصي جيد يتطلب مراعاة بعض الإفتراضات ومنها القدرة على تحليل المهارة أو المعرفة مجال التشخيص إلى جزئياتها ومكوناتها المتعددة ، أما الإفتراض الثاني فيتمثل في إمكانية وضع بنود الإختبار القادرة على قياس الجزئيات والمكونات الدقيقة . ومن أجل تحقيق هذه الإفتراضات يلزم التأكيد على أن المحك الأساسي والخطوة الأولى الواجب تحقيقها هو تحديد - وبشكل دقيق - ماذا تقيس البنود . فعلى سبيل المثال إن وضع إختبار لتشخيص الضعف الرياضي ، قد يتطلب وضع فقرات خاصة بالجمع من النوع البسيط وبنود أخرى تستهدف عمليات الجمع للأرقام المركبة وبنود أخرى للجمع بدون حمل وأخرى بحمل وهكذا .

٣- المعرفة الذاتية

قد يكون من أهداف الإختبارات النفسية الحصول على المعرفة الذاتية بالنسبة للمفحوص ، ذلك أن ما يحصل عليه من تغذية راجعة كنتيجة للإختبار يمكن أن يكون أساساً يعتمد عليه الفرد من أجل التغيير في سلوكه أو واقعه الذي يحياه في أي جانب من جوانب شخصيته ، وهذا التغيير لا يتم إلا من خلال الوقوف على الإيجابيات

والسلبيات ، فمعرفة السلبيات وتحديد ما يمكن أن يقود الفرد العملية التغيير إذا وجدت لديه الرغبة . ومن الأمثلة على المعرفة الذاتية لو فرضنا أن فرداً يعاني من صعوبة الوقوف أمام الآخرين والتحدث إليهم ، ولو طبق إختبار من إختبارات الشخصية على هذا الفرد وتبين أن مشكلة الفرد تكمن في إفتقاده الثقة بالنفس ، إن الوقوف على هذه المعلومة قد تفيد في أن يضع الفرد لنفسه برنامجاً من شأنه إكسابه الثقة بالنفس ومن ثم إمكانية الوقوف أمام الآخرين والتحدث إليهم .

٤- تقييم البرامج -

الإختبارات النفسية من أهدافها التي قد تفيد مستخدمها هو تقييم البرامج التعليمية والتربوية والاجتماعية ، إذ يمكن من خلال الإختبارات النفسية معرفة الآثار الناجمة عن برنامج تعليمي أو منهج من المناهج فعلى سبيل المثال يمكن لوزارة المعارف أو رئاسة تعليم البنات توظيف الإختبارات النفسية من أجل معرفة فعالية منهج التربية الفنية ومدى إسهامه في تنمية الذوق الفني لدى الدارسين كما يمكن مثلاً المعهد الإدارة أن يستخدم الإختبارات النفسية لمعرفة فعالية برنامج تدريبي صمم المجموعة من المتدربين، فالإختبار النفسي قد يكشف لنا هل اكتسب المتدربون خصائص تنظيمية وقيادية من هذا البرنامج أم لا . من الأمثلة على البرامج التي وظفت الإختبارات النفسية من أجل تقييمها ما يسمى ببرنامج البداية الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية Head Start Progam والذي يقدم خدمات تعليمية لما قبل المدرسة للأطفال الأقل في مستوياتهم الاجتماعية . وتأتي قيمة الإختبارات النفسية المستخدمة في هذا البرنامج من أجل تحديد الآثار الناجمة عن هذا البرنامج في ذكاء الأطفال ، إستعدادهم الدراسي ، وكذلك تحصيلهم الدراسي في ما بعد عندما يلتحقون في المدارس (McKey et al ١٩٨٥) . إن الإختبارات النفسية بإستخدامها من أجل تقييم البرامج الاجتماعية والتربوية تبرز الإيجابيات والسلبيات في هذه البرامج وبناء عليه

يمكن التغيير في هذه البرامج بما يخدم الأهداف التي من أجلها أوجدت ، بصورة أكثر شمولية يمكن القول إن الاختبارات تقدم قيمة واضحة في تقييم المناهج الدراسية بشكل عام من أجل الوقوف على فعاليتها وقيمتها، إذ قد تتمكن الجهات المسؤولة عن التربية من معرفة قيمة المنهج الدراسي من خلال الآثار الواضحة على تحصيل الطلاب كما يتضح من المهارات المكتسبة عند حديثهم ، كتابتهم ، سلوكهم العام ، تعاملهم مع الآخرين، مواجهتهم للمشكلات وحلهم لها ، خطاباتهم أمام الآخرين ، تعاملهم أمام الآخرين ، تحليلهم للأمور ، تعاملهم مع الأرقام وما إلى ذلك من المخرجات التعليمية الأخرى. وتعتمد قيمة الاختبارات التقييمية للبرامج الدراسية على الحقائق التي يتم الوصول إليها حول ما هو قائم من برامج ، إذ لا يمكن إقترح البرامج البديلة أو التعديل في البرامج والمناهج المستخدمة ما لم يتم الوصول إلى حقائق حول المخرجات التربوية بكل جوانبها العقلية ، والإنفعالية ، والسلوكية . ويذكر (١٩٨٠) (SAX) أن استخدام الاختبارات من أجل تحسين البرامج التربوية والتدريبية يفترض أن يأخذ في الاعتبار ما يترتب عليها من الفوائد والتكاليف ، والفوائد المترتبة على هذه البرامج قد تتضح من خلال أداء الطلاب على هذا الاختبار ومن خلال حسن الأداء في مواقع العمل ، وكذا من خلال الرضا الشعبي عن هذه البرامج . أما تكاليف هذه البرامج فتتمثل في رواتب القائمين عليها . والأدوات المستخدمة في هذه البرامج ، والمباني ، والوقت المستغرق لتنفيذها .

٥- تطوير النظريات :

هل من الممكن أن تسهم الاختبارات في تطوير النظريات والتحقق منها ؟ للإجابة على هذا السؤال يتطلب الأمر التفحص في الواقع وبالأخص ما يتعلق منه بالمعرفة النفسية . لقد زادت المعرفة الخاصة بنمو الطفولة في كل جوانبها العقلية ، والإنفعالية ، والسلوكية والأخلاقية. وهذه الزيادة وهذا الفهم لنمو الطفولة لم يأت من فراغ بل جاء

نتيجة طبيعية لإستخدام الإختبارات التي مكنت الباحثين من معرفة الكثير عن الذكاء ،
والإتجاهات ، والميول ، والتحصيل ، والرغبات والإهتمامات ..

لقد تمكن الباحثون من معرفة كيف تنمو هذه العناصر وكيف يمكن التأثير عليها
حتى أن سمات الشخصية وخصائصها أصبحت في عداد العناصر الخاضعة للقياس ،
وبالمثل يقال عن كيفية تعليم الأطفال للمفاهيم والمبادئ إذ لا يمكن ذلك بدون استخدام
الإختبارات والمقاييس فهذه الأدوات تمكن من الوقوف على حقيقة النظريات في
مجالات النفس الإنسانية المختلفة مما يثبتها أو يضيف إليها وهذا ما تحقق لكثير من
النظريات التي تتناول الذكاء والقدرات العقلية ونظريات الشخصية مما عزز بعض
النظريات وأثبتها أو أثبت عكس ما قالت به بعض النظريات وهذا بحد ذاته تطوير
النظريات أخرى

المصادر

١. الطريحي، عبد الرحمن بن سليمان (١٩٩٧). القياس النفسي والتربوي : نظريته، أسسه، تطبيقاته. الرياض: مكتبة الرشد.